

البكاء على صدر الحبيب

رواية للكاتب الفلسطيني رشاد أبي شاور

كان من المقرر ان تكتب الرواية الفلسطينية الكبرى على يد الشهيد غسان كنفاني ، الا ان ذلك الانفجار في ظهيرة احد ايام تموز أفقدنا « احلى الفلسطينيين وأجمل العرب » وحذف من رصيده الرواية الفلسطينية احد أهم أعمدها .

حين نقول « الرواية الفلسطينية » فلا نعني الا الرواية التي كتبت عن القضية - الاستثناء في تاريخ البشرية .. ولعل مما يستوقفنا ان تكون الرواية فلسطينية بهذا المعنى ، وكتبتها فلسطيني، ورؤياها جديدة ، وتملك من الجرأة والصراحة القدر المطلوب للحياة المعاصرة . تلك هي رواية « البكاء على صدر الحبيب » للروائي الفلسطيني رشاد أبي شاور ، وهي قصة الرجل الفلسطيني الذي بقي حيا بعد ان قضى جميع رفاقه في «يدان الخلاص» ، فاحس انه الوحيد الذي مات .. وانهم جميعهم الاحياء .. ولكنه غالب هذا الاحساس بالبديل الموضوعي لا غير .

اشخاص الرواية عاديون ، من لحم ودم ومشاعر انسانية : يخرجون .. يضحون ويلعنون ، يمارس واحدهم حياته كأي مواطن يحب ويكره ، يوافق ويرفض ، له ايجابيات وفيه سلبيات ، لغتهم بسيطة وعادية بعيدة عن الفذلكة والعقم البلاغي والافتعال الكفر ، لذا فنحن نرى في الرواية صورة حقيقية وواضحة للفدائي الفلسطيني - الذي لم يكن كما كان يطرح باستمرار : معجزة واسطورة من ناحية، وقائلا مغربا دون قيم .. ودون اخلاق من جهة اخرى - انها صورة الفرد الطبيعي ..

يحقق رشاد عملية رصد داخلية ، غاية في الجرأة ، لحركة المقاومة الفلسطينية ، واذا علمنا انه واحد من افرادها فلن نستغرب تلك الدقة المتناهية في رصد الجزئيات وتوظيفها في خط عمله الروائي .. انه يعرف نفسه (زياد) التي اكتشفها جيدا في ايلول المذبحة ، لذا فهو يكشف بقسوة : الوجه الآخر للفدائي .. الوجه الحقيقي ، بعيدا عنه الماكياج الاعلامي بمختلف اشكاله ميتعدا عن التسورط في شيئين : الاول - التمجيد الاجوف غير المنفع ، والثاني - الشماتة التي بلغت ذات مرة عند كثير من الابداء درجة تعذيب الذات . وبذلك يكون الكاتب قد هدف في عمله الى التذليل على السبب - الخلل الذي وضع العمل الفدائي في حالة أدت الى اخراجه من ساحة الاردن .. بطريقة ممعنة في الوحشية .

لا يلجأ رشاد الى استخدام تقنية روائية محددة لتقديم عمله ، كما انه لا يتوقف عند مجرد تسجيل حكاية ذات اجزاء كثيرة عن داخل

المقاومة الفلسطينية بطريقة وثائقية .. انه يمزج بضعة من الاساليب راميا قبل كل شيء الى رصد ما حدث ليحرضنا على تجاوز الخطأ وبناء مستقبل أفضل ، ومن هنا نترك سبب عدم التركيز على لقطات التنداعي والحوار ، ووجدنا الحوار ينتشر في مختلف الصفحات ممتيا جديدا وصدق حالة ابطال الرواية وعاديتهم وبساطتهم :

لم اتأخر ، ها .. كيف أنت الآن ، لا بأس ، الطيب جاء ، انه ينام هنا .. ويأكل معنا ايضا .. دكتور طيب .. كيف الحال الآن ، لا بأس ، بروفة يا شباب .. ما بالك قد سرحت؟ - سابسك، الله يبسطك يا اختي ، اختك يا (..ع) .

الرواية تدين كل أشكال الفهم الخاطيء الذي ارتكبته جميع الاطراف « المقاومة - السلطة العميلة الخ .. » كما انها تدين الممارسة الضاللة التي خاضت في حماها تلك الاطراف .. وتدين بالتالي كل ردود الفعل التي من شأنها تجسيد وتجسيم وغرس الاخطاء بشكل مدمر .. الرواية تدين وتعري بمنطق النقد الذي يشير ويحدد البديل لا بروح التعذيب والاساءة الى النفس - كما شاء بعض ممن كتب عن الرواية مستخدما اشارات من فتنازيا النقد ولعبة الادعاء الاجوف - ويشير هنا الى ما كتبه ربي المدهون في « فلسطين الثورة » وفريد الخطيب في « الصياد » - فمثل تلك الاقوال تحتاج الى عملية نقد مقارن وهذا ما لم يفعله واحد منهما .

تعرض رواية « البكاء على صدر الحبيب » نماذج واقعية من حياة حركة المقاومة الفلسطينية في ثلاث فترات محددة ، الاولى : تبدأ بخروج الفدائي من عمان جريحا بفعل السلاح العربي ، والثانية : صعود الثورة الفلسطينية امام محاولات تصفيتها في أيار - بيروت ، والثالثة : الفترة الزمنية ما بينهما . فنرى « غالي » الشاب المحمص الذي سقط في يد الياص فترة حتى اصيب بالاحباط الذي دفعه بعيدا باتجاه العالم القريب ليلتقي فوق الباخرة اليونانية بالزنجي « برونو » الذي يصبح صديقا له ، ولكنه يفاجأ حين لا يسمح له بدخول البلاد : لماذا ؟ الجواب : ان الامر سيكون في مصلحة غالي خيرا ..

« قلت - أي غالي - : لماذا ؟ قال « برونو » بأبيركته العجيبة : القانون هكذا ، غير مسموح للبشارة بدخول البلاد اذا كانوا يأتون للمرة الاولى . قلت : اللعنة على هذه البلاد .. اللعنة على القانون القديم والحديث والمستقبل .. تفو على ناطحات السحاب . اقترب مني البحار الزنجي برونو واغرق في الضحك .. قلت : لماذا لم تنزل ؟ بصق وشتم : اني اكره هذه البلاد الحقيرة .. لقد هربت الى البحر لانني اكرهها . من الذي يستطيع ان يحيي في اميركا ؟ من ؟ .. » . هذا هو وضع برونو : لن يعود لانه يكره اميركا . اما هو فانه لا يكره بلاده .. ولكنه يشس تماما . ثم يأتيه صوت برونو مرة ثانية : « اصغ الي ايها الصديق : عد الى وطنك وأنا كذلك سأعود .. فالخيول يجب ان تموت في ميادينها » .

يعود غالي الى بيروت ليحضر رفاقه : « احنروا من القنصة .. اذا اطلق احدهم الرصاص عليكم من بناية حددوا المكان ولا تطلقوا

تنفوق عليه . « وحين انتهت الدورة التدريبية كنت الثاني على كل المسكر » (نهاد ص ٥٩) . انها صورة المستقبل ووجه الجيل الجديد ذي العقلية المتفتحة المعاصرة ..

الطبيب - مسؤول الفرقة الفنية خالد الذي رفض اخسراج ما لم يقتنع به همزق النص التافه .

الام - فاطمة وامها - الموسات .. مارلون براندو - حسام منطف المكتب - الشاعر بطل المسرحية - ابو ساهر القائد الانتهازي الجبان ... كل هذه الشخصيات منتمية من قلب الواقع العادي الذي نحياه يوميا ، ووجودها في الرواية بمثابة جسور حقيقية فير مفتلة لتنمية الحدث المتنامي .

والحس الطيبي في « البكاء على صدر الحبيب » واضح جدا دون اية حاجة الى التفسير .. فنظرة سريعة الى الشخصيات لحظة الصراع الذي يقوم بينها كجزء من احداث الرواية ملتصق ببسائي الاجزاء يؤكد لنا ان ذلك الحس موجود بشكل وعي في نفس الكاتب وعلى سبيل المثال : القائد ابو سامر - نهاد - المسؤول - خالد ..

وبعد : فان رواية رشاد هذه تعتبر تطورا في مسيرة هسدا الروائي الطيبي .. وعلامة واضحة في خط سير الرواية الفلسطينية.

حلب

عادل اديب آغا



النار .. انهم يريدون جونا لقتل الاهالي » . لم يموت غالي .. مع هناك تلك الحبيبة التي ابعدته الحياة عنها ثم اجتمعا في لحظة الموت .. « كوموها مع القتلى في احد البيوت التي جعلت مركزا للاسعاف ... ولكنه تردد في اطلاق النار عليهم ... غالي راح ... هكذا تسيير الامور دائما » .

اما « زياد » فانه يلتقي بـ « فجر » الانسانة التي احبها ولمس يكن له في فترة معينة ان يصارحها بحبه لان احد القادة كان ... تنفير الاحوال وتلتقي من جديد بزياد وينطلق الحب من مكمنه متوهجا وقويا وتكون المصارحة المفجعة ... « انا لا استحقك يا زياد ... - انا متالم الآن ، لا اريد ان اكذب عليك .. انا مقهور الآن .. ليس لانك فذت عذريتك مع ذلك القدر (يقصد احد القادة) ... لم : تلاكث عيوننا .. ونهن نسير وفرح الاطفال يطهرنا ويرفرف فوق راسينا » .

- وابو خليل - كنا نناديه « ابو الخل » ، احيانا كان يسمح الوجه ، مدب اللسان ، يقاتل وهو يتسهم ، لم يحترق معتقدات اهدد .. ولكنه كان يقول يجب منع كتب ابي زيد الهلالي والكتب التافهة التي ترسل الى القواعد ... امتقلتوموه .. اهنتوموه .. ثم طردتموه السي الشارع فصار سكريا حزينا ... « المهم انتحر صبيحة هذا اليوم وسوف تخرج جنازته مساء .. الجنازة متواضعة .. هسهه هي المرة الاولى التي يبث فيها افاني الشيخ امام جنازة : جيفارا مات .. يا اتنيكات .. خلاص .. خلاص .. مالكوش خلاص - فير بالبنداق والمصاص » . وابو الخل « ليس شهيدا .. هكذا قالوا » « هل تصدق انهم رفضوا اعطافنا سيارة الاسعاف لنقله - يقصد القيادة - ولكنني ذهبت الى المسكر واخبرت اصدقاءه من المقاتلين فحضرنا ومعهم سياراتهم العسكرية .. واجبروا السائق على الحضور » .

نهاد : الفتاة المتحررة التي تاخذ دورها كاملا كالرجل حتى انها

دراسات ادبية

من منشورات دار الآداب

مذكرات طه حسين	د . طه حسين	بين آدم وحواء	د . زكي مبارك
من ادبنا المعاصر	» »	التكسب بالشعر	د . جلال الخياط
تجديد رسالة الفخران	خليل الهنداوي	شخصيات من أدب المقاومة	سامي خشبة
الادب المسؤول	رثيف خوري	سيمون دو بفوار أو مشروع الحياة	فرانسيس جانشون
اصوات فاضبة في الادب والنقد	رجاء النقاش	كامو والتمرد	لدلوييه
والبقى الكلمة	صلاح عبدالصبور	بابا همنغواي	ا . ا . هوتشنر